تجسيد الزعيم/الكاهن على أختام إيران وبلاد ما بين النهرين (الألف الرابع – بداية الألف الثالث ق.م.)

د.أبو الحسن محمود بكري♦

تمهيد:

تتناول الدراسة الحالية مناظر تجسيد الزعيم/الكاهن على أختام تنتمي إلى منطقتين حضاريتين هامتين في الشرق الأدنى القديم، ألا وهما إيران وبلاد ما بين النهرين. ومن اللافت للنظر أن هاتين المنطقتين قد توفرت بهما عوامل التواصل الثقافي من قرب جغرافي وإختلاف في الظروف الطبيعية[١]. وقد إنعكست هذه العلاقات الثقافية والإقتصادية التي كانت قائمة بينهما على آثار الحضارة المادية المكتشفة في أهم المواقع الأثرية الواقعة، على وجه الخصوص، في المناطق الحدودية، وأهمها: شمال شرق بلاد ما بين النهرين تبة جَورا تقع على بعد ١٥ ميلاً إلى الشرق من الموصل، وفي إيران منطقتي تبة جيان بشمال غرب إيران، وسوسه بجنوب غرب إيران (خريطة ١).

وتعتبر الأختام وطبعاتها وزخارفها من بين أهم الشواهد على مثل هذه العلاقات، وهي من الأعمال الفنية التي إمتزجت فيها الأسطورة بالواقع والمعتقدات بالنواحي العملية، والتي من خلال دراسة وتحليل الزخارف المصورة عليها يمكن إماطة اللثام عن بعض المعتقدات والطقوس الدينية ورصد التغيرات التي طرأت على المجتمع، وكذلك عمل إعادة بناء وفهم للحياة الروحية لصانعيها أحياناً.

أهداف البحث:

تمثل الزخارف الآدمية المصورة على الأختام ودلالاتها ومجالات إنتشارها والتغيرات التي طرأت عليها في فنون منطقة إيران وبلاد مابين النهرين أهمية كبرى بالنسبة لدارسي هذه الحضارات. من هذا المنطلق تهدف ورقة البحث الحالية إلى تحليل هذه الزخارف في إطار التطور الإجتماعي والثقافي للفترة الزمنية التي ترجع إليها، خاصة دراسة الزخارف الآدمية المصورة على أختام من إيران وبلاد ما بين النهرين، التي تعود للفترة الإنتقالية بين أواخر عصور ما قبل التاريخ وعصر نشأة الممالك المبكرة، أي من النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد (فترة العُبَيد المتأخرة في بلاد ما بين النهرين) وحتى بداية الألف الثالث قبل الميلاد (٣٧٥٠ حتى

♦ كلية الآثار – قسم الآثار المصرية – جامعة القاهرة .

[١] جورج رو، العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، ط ٢ بغداد، ١٩٨٦ ، ١٩.

٢٩٠٠ ق.م. تقريباً)[٢]. إضافة إلى ذلك سوف يؤخذ بعين الإعتبار أشكال ووظيفة المواد التي صُورت عليها، والعلاقة المتبادلة بين هذه الزخارف وبين العناصر الحضارية الأخرى للمنطقة التي تنتمي إليها كل من الزخارف والمواد نفسها.

بداية ظهور الزخارف الآدمية على الأختام

تعتبر الزخارف الآدمية التي يصور معظمها شخصاً يحمل أحياناً عناصر حيوانية (مثل القرون) أو كائناً ذا ملامح بشرية هي أول زخارف يظهر بها البشر على الأختام في هذه المنطقة من الشرق الأدنى القديم بعد أن كانت الأختام تُزين ولفترة طويلة بزخارف هندسية وحيوانية.

يسمى عادة هذا الشخص المتجسد ببعض العناصر الحيوانية من قرون وذيل في المراجع 'بصاحب الحيوانات' حيث إنه كان غالباً ما يصور حامياً أو سيداً للحيوانات البرية والحيوانات الأليفة والزواحف. وقد سماه Amiet 'الأصل الأسطوري الأقدم' الذي سبق الأبطال الأسطوريين والآلهة التي تتخذ هيئة بشرية[٣]. وتأتي أقدم أمثلة الأختام المعروفة حتى الآن والتي تحمل مثل هذه الزخارف من موقع تبة جَورا، ومواقع في منطقة لورستان (تبة جيان) وسوسه.

مناظر أختام تبة جورا

تم العثور على عدد كبير من الأختام وطبعات الأختام ذات الزخارف الآدمية في موقع تبة جَورا بدءاً من الطبقة الثالثة عشرة[٤]. ويلاحظ أن أولى الأختام التي عُثر عليها في هذه الطبقة كانت عبارة عن أقراص وأزرار ومربعات من الحجر وكانت تحتوي على رسومات بسيطة من خطوط مستقيمة ومتقاطعة كانت تتضمن أشكالاً آدمية وحيوانية[٥]. ويصل عدد الأختام التي وجدت في الطبقات الأحدث (الحادية عشرة والثانية عشرة) تقريباً إلى ثلثي مجموع الأختام التي عثر عليها في الموقع ككل. وترجع الطبقتان الثانية عشرة والثالثة عشرة إلى عصر العُبَيد المتأخر، أما الطبقات العليا فترجع إلى عصر أوروك.

وبوجه عام تتخذ أختام تبة جَورا شكلاً شبه دائري ومربع وتم صنع معظمها من الأحجار التي كانت تستورد من الخارج مثل الستياتيت، حجر الحية (تقريبا ٦٠% منها)، اللازورد، الأجات، الياقوت ....الخ. وقد تم عمل الرسومات عليها بواسطة

---

[٢] تشمل هذه الفترة الزمنية كما حدد العلماء نهاية حضارة العُبَيد والتي تؤرخ بعام ٣٧٥٠ ق.م. و حضارة أوروك (الوركاء) ٣٧٥٠-٣١٥٠ ق.م. وحضارة جمدة نصر ٣١٥٠-٢٩٠٠ ق.م.

[3] P. Amiet, Elam, (Paris, 1966), 32

[4] A.J. Tobler, Excavation of Tepe Gawra, V. II. (Philadelphia, 1950), 175

[٥] أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ العراق القديم، (الأسكندرية)، ١٢١

الحفر. وعلى الرغم من أن ظهور الأختام ذات الزخارف الآدمية يُؤرخ بعصر العُبَيد المتأخر إلا أن معظمها يرجع لعصر أوروك.

صورت الزخارف الآدمية على أختام تبة جَورا إما شخصاً بمفرده أو مجموعة أشخاص، فعُثر مثلاً في الطبقة الثالثة عشرة على أختام تحمل منظراً به شخص واحد مُصور برأس تيس أو بقرون تيس في وضع الجري أو الرقص المقدس[٦] وكان إما محاطاً بالتيوس من كل الجهات أو صُور خلفه تيس راقص.[٧](شكل ب:١٩، ٢٠، ٢٧، ٢٨، ٢٩)

وصُور على ختم آخر ثلاثة أشخاص بدون أية صفات أو عناصر حيوانية (على الرغم من شكل رؤوسهم الغريب الذي يشبه رأس الطائر؟) متجهين إلى اليمين وقد أمسك كل منهم بيد الأخر[٨]، ربما كانوا يؤدون رقصة طقسية؟ (شكل ب: ١٣). ومن الجدير بالذكر أن هذه الطبقة الأثرية من تبة جَورا تتميز أكثر بالزخارف الهندسية والحيوانية (معظمها تمثل تيوساً، وأيائل نادرة).

في الطبقة التالية (الثانية عشرة) تم العثور على أختام وطبعات أختام ذات زخارف تصور شخصاً راكعاً على ركبتيه ومحاطاً بالثعابين ومنظر آخر يصور شخصاً جارياً وثالث يصور شخصين واقفين على جانبي إناء كبير يغمسان فيه شيئاً يشبه العصا[٩](شكل ب: ١٤). وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا المنظر سبقه منظر مشابه مصور على كأس يؤرخ بحضارة حلف[١٠].

تمثل نماذج الأختام التي تم العثور عليها في الطبقة الحادية عشرة أهمية خاصة، حيث نجد أن الزخارف الآدمية أو الأشخاص المصورين بها يؤدون الأدوار الرئيسية في المناظر المختلفة. فصُور، على سبيل المثال، على ختمين شخصان في وضع مضاجعة، في الحالة الأولى صورت على يمين المنظر حية ضخمة أما في الحالة الثانية فنجدهما يقومان بالمضاجعة في وضع واقف مثل وضع الحيوانات أو (a tergo) (شكل ب: ٩، ١٠)[١١].

---

[٦] أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ العراق القديم ، ١٢١

[7] Tobler, Excavation of Tepe Gawra, Pl. CLVXIV, 95, 101, 102

[8] Tobler, Excavation of Tepe Gawra, Pl. CLVXIV, 9٢

[9] Tobler, Excavation of Tepe Gawra, Pl. CLXV, 107; CLXII, 76; CLXIII, 91

[١٠] يشبه هذا المنظر منظراً أقدم صُور على كأس عُثر عليه في مقبرة بتل العربجية يؤرخ بحضارة حلف، صور على أحد أجزاء الكأس شخصان يقفان على جانبي إناء يحمل الأيسر منهما ما يشبه القرنين على رأسه، وربما أنهما كانا يرتديان أحذية ذات نهايات معقوفة وهي خاصية تميز ساكني الجبال (شكل ....). للمزيد أنظر:

C. Berniquet, 'A porpos du vase halafien de tombe G 2 de Tell Arpachiyah', Iraq 54 (1992)

[11] Tobler, Excavation of Tepe Gawra, Pl. CLXIII, 86,87

على ختم آخر صُور منظر لأشخاص سائرين منحنيي الظهور كما لو كانوا يحملون عليها حملاً ، أو ربما يمثلون الأسرى مقيدي الأيدي خلف ظهورهم؟ وعلى ختم آخر نجد شخصاً واقفاً وشخصين سائرين يمسك أحدهما ما يشبه العصا ويعلو المنظر رأس حيوان؟[١٢] (شكل ب:٢١، ١٧).

إذاً على أختام هذه الطبقة كانت الغلبة ليست للزخارف الهندسية ولكن سادت المناظر الكاملة التي تصور كائنات حية أغلبها تمثل الحيوانات: حيوانات وحشية بجانب التيوس أو مناظر لتيوس فقط. ومن الجدير بالذكر أنه في الطبقات المتأخرة لتبة جَورا (السابعة–العاشرة) قد إختفت الزخارف الآدمية وتبقت فقط الزخارف الحيوانية التي تصور تيوساً فقط أو أحياناً بجانب الحيات.

إذاً من الواضح أن هناك عدداً من مناظر الأختام تجعلنا موقنيين بأن الأشخاص المصوريين بها تم تصويرهم بلا شك وهم يؤدون طقوساً ما. فبجانب الأختام التي تُصور المضاجعة التي ذكرناها أنفاً تجدر الإشارة إلى ختمين آخرين يرجعان إلى الطبقتين (السادسةA والسابعة)[١٣] وصور على أحدهما شخص ينحني على شيئ ما يشبه مذبحاً مزيناً بقرون؟ (أو له نهاية مثلثة) وصُورت إلى جانبه بعض الأشياء الأخرى غير مفهومة الماهية، ربما تمثل القرابين[١٤](شكل ب: ٧). وعلى ختم آخر أيضاً صور شخص بجوار مذبح؟ يحمل ساق حيوان بيده، ويفسر بعض الباحثين وقفته ووضع ساقيه شبه المنحنيتين وذراعيه المتباعدين أنه في وضع راقص[١٥]. ربما كانت هذه المناظر التي تصور شخصاً بمفرده أو مجموعة أشخاص تهدف إلى توضيح أو شرح الطقسة بشكل عام وهذا ما كان يميز أختام العصور التالية في كل من إيران وبلاد ما بين النهرين[١٦].

مناظر أختام تبة جيان

أما في موقع تبة جيان بمنطقة لورستان فتم العثور على مجموعة من الأختام غير معروفة المصدر (أي غير معروفة الطبقة التي تنتمي إليها)، إلا أن شكلها العام وملامح زخارفها تتشابه بدرجة كبيرة مع أختام تبة جَورا سالفة الذكر، حيث صُور عليها أشخاص برؤوس تيوس أو بقرون أو حتى بدون أي عناصر حيوانية بجانب

[12] Tobler, Excavation of Tepe Gawra, Pl. CLXIII, 85, 89
[13] Tobler, Excavation of Tepe Gawra, Pl. CLXIII, 82, 83
[14] [14] P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, (Paris, 1961), 69
[15] Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, 15, 69; D.N. Caldwell, 'The Early Glyptic of Gawra, Giyan and Susa and the Development of Long Distance Trade II', Orientalia 45 (1976), 3
[16] Е.В. Антонова, 'Антропоморфнный персонаж на печатях Ирана и Месопотамии', ВДИ № 2, (Москва, 1991), 5-6

التيوس أو الثعابين[١٧] (شكل جـ:١، ٢، ٤)، كما تم العثور على مناظر المضاجعة التي عرفناها سابقاً.[١٨] وكما هو الحال في تبة جَورا صُورت التيوس هنا بدون أية علامات تحدد جنس الحيوان في هيئة أزواج وأحياناً تحيط بهم حية، وربما إرتبطت مثل هذه الزخارف بطقوس إكثار (زيادة) رؤوس القطيع[١٩].

يُعتبر مثل هذا التشابه بين أختام تبة جيان و تبة جَورا دليلاً واضحاً على العلاقات الوطيدة التي كانت قائمة بينهما[٢٠]، والتي ربما كانت تحمل صفة التبادل (التجاري) والذي كان اللازورد من أهم مواده. وقد ظهر اللازورد لأول مرة في تبة جَورا في الطبقة الثالثة عشرة[٢١]، ونينوى، وتل عربجية، ثم عثر عليه تقريباً في نفس الفترة الزمنية أو في فترة متأخرة بعض الشيئ في تبة جيان[٢٢]. بعد ذلك إختفى هذا الحجر من شمال بلاد ما بين النهرين في الطبقة الثامنة من تبة جَورا وظهر في نفس الوقت في مواقع الجنوب ربما بسبب أن تجارة اللازورد قد تحولت إلى مدن الجنوب وسوسه[٢٣].

مناظر أختام سوسه

عثر في سوسه على أكثر من مئتي ختم (على شكل الأزرار) غير محددة الطبقة التي تنتمي إليها، لكن بعد مقارنتها بأمثلة أخرى من منطقة الأكروبول (الطبقة السابعة والعشرون) تمكن الباحثون من نسبتها إلى عصر العُبَيد[٢٤]. أما فيما يخص الزخارف المصورة على هذه الأختام فمعظمها هندسية وتأتي بعدها في الظهور العناصر الحيوانية[٢٥]. وقد أبدي Amiet شكوكاً حول أن هذه المنتجات لم يتم

---

[17] G. Contenau, R. Ghirshman, Fouilles de Tepe Giyan pre de Nehavend, (Paris, 1935)

[18] G. Contenau, R. Ghirshman, Fouilles de Tepe Giyan pre de Nehavend, Pl. 35, 5; 38, 24

[19] Антонова, ВДИ, ٦

[20] Caldwell, Orientalia 45, 240

[٢١] ربما أن موقع تبة جَورا شهد نوع من الإزدهار نتيجة عملية تبادل اللازورد، وتمثلت مظاهر هذا الإزدهار في تنوع وغنى المتاع الجنازي بالمقابر، والمباني المعمارية المعقدة التخطيط ، والعدد الكبير من الأختام وطبعات الأختام التي ترجع إلى عصر العُبَيد المتأخر وبداية عصر أوروك. إذاً الأختام أصبحت أكثر عدداً في الطبقة الثالثة عشرة عندما ظهر اللازورد بها.

[22] G. Hermann, 'Lapis Lazuli: the Early Phrase of Trade', Iraq 30, (1968), 21

[23] Caldwell, Orientalia 45, 240

[24] P. Amiet,'Glyptique susienne des origines á l`epouque des Perses Achemenide' MDAI, (1972),T.XLIII, № 1-200; P.Amiet, L`âge des echanges interinraniens. 3500-1700 avant J.C., 6

[٢٥] في خلال المرحلة الأولى سوسة " أ " كشف عن أختام كبيرة الحجم نسبيا ومعظمها على هيئة نصف كروية تشابه أختام جمدة نصر بالعراق ، نقشت بزخارف هندسية وحيوانية تشابه أختام العبيد. أنظر: أحمد أمين سليم، دراسات في عصور ما قبل التاريخ /مصر–العراق–إيران، (الإسكندرية، ١٩٩٨)، ٣٧٦–٣٧٧.

إستخدامها كأختام، حيث لم يُعثر على طبعات لها في أي مكان ولكنه أشار إلى أن طبعاتها عُثر عليها في موقع تل عربجية[٢٦].

وهناك مجموعة أخرى من الأختام شبه الدائرية صُنعت من الإستيتايت[٢٧] والكلوريت تحمل زخارفاً تصور تيوساً وثعابين وأشخاصاً ترجع إلى فترة متأخرة بعض الشيئ[٢٨]. ويشير Amiet إلى وجه الشبه بين هذه الأختام وبين تلك التي عُثر عليها في جبانات لورستان القديمة و تبة جيان VC، ويرى أن مجموعة أختام سوسه ما هي إلا منتجات مستوردة من منطقة لورستان نظراً لأن أختام لورستان تتميز بالكثرة العددية والقدم الزمني وهناك علاقة واضحة في التقاليد الفنية[٢٩]. وقد صور على أحد هذه الأختام – أي أختام سوسه – 'صاحب الحيوانات' التقليدي بصورة مبسطة جداً محاطاً بالتيوس والطيور[٣٠].

كما عُثر في سوسه على مجموعة أختام متأخرة ترجع إلى فترة معاصرة لعصر أوروك في بلاد ما بين النهرين، وهي الفترة التي يسميها البعض ما قبيل المدنيةI أو العصر القديم(وهي تعاصر أوروك XIV-VI و سوسه B)[٣١].وتحمل هذه الأختام زخارف تمثل مناظر لشخص تقاربت شاراته وصفاته من ذلك الشخص المصور على أختام لورستان ومن الشخص الذي ظهر متأخراً وسمي'بالملك-الكاهن'(roi-prêtre).[٣٢]فنجد هذا الشخص مصوراً الآن على هذه الأختام مرتدياً نقبة تشبه الجرس وله رأس تيس(أو قناع على شكل رأس التيس)ولحية غير عريضة.يمسك هنا في يديه ثعباناً أو أسوداً وفي أحيان أخرى كان ترافقه سمكة أبو منشار(شكل د:١، ٢، ٣).

أما على الأختام المزدوجة فصُور هذا الشخص مرتين مختلفتين على إحدى الجهتين صُور بقرون ممسكاً بأسد في يديه وعلى الجهة الأخرى يصور جالساً على عقبيه فوق منصة أمام مبنى يشبه المذبح ويتوج رأسه غطاء رأس أسطواني. وصُور أحياناً على بعض الأختام بجوار هذا الشخص ذي القرون شخص آخر عار أو شبه عار مرتدياً غطاء رأس بصلي الشكل ومن الواضح أنه كان شخصية ثانوية(شكل د:٥)، على الرغم من أنه أحياناً كان الشخص الرئيسي ذو القرون يصور مرتدياً نفس غطاء الرأس بصلي الشكل (شكل د: ٤)[٣٣].

---

[26] P. Amiet, MDAI, 6

[٢٧] حجر الإستيتايت (steatite)هو حجر صابوني هش

[28] Amiet, MDAI, № 127-144

[29] P. Amiet, L`âge des echanges interinraniens. 3500-1700 avant J.C., 35

[30] Amiet, MDAI, № 144

[31] Антонова, ВДИ, ٦

[32] P. Amiet, L`âge des echanges interinraniens. 3500-1700 avant J.C., 34-38

[33] Amiet, MDAI, № 121, 123

التطور الإجتماعي خلال عصر العبيد

في البداية لابد من الإشارة إلى أنه من الصعب الحكم على مستوى التطور الإجتماعي لسكان بلاد ما بين النهرين خلال عصر العبيد وهذا بسبب عدم دراسة الأختام ذات الزخارف الآدمية التي ترجع لهذه الفترة دراسة كافية.

ربما أن المعبد في ذلك العصر كان يسيطر على التجارة والعمليات التجارية في تبة جورا بدءاً من الطبقة التاسعة عشرة، ويعتقد أن المعابد هي تلك الأبنية الضخمة التي تتميز عن بقية المباني في الموقع. إلا أنه هناك من يعتقد أن هذه المباني منازل لأسر مميزة من الناحية الإجتماعية، وفي هذه الحالة يمكننا القول بأن أصحاب هذه المنازل كانت لهم علاقة بعملية توزيع وتبادل السلع حيث عثر بها على كميات كبيرة من الأختام.

من الواضح أنه كان خلال عصر العبيد يوجد هيكل إجتماعي وإن كان بسيطاً، ويدلل على وجوده العثور على مقاصير في إريدو وظهور زخارف آدمية لم يكن لها وجود في العصور السابقة، أي في حضارة حلف. وبالإضافة إلى ذلك تطلب مستو التطور الإجتماعي خلال عصر أوروك الذي تلى العبيد وجود تركيبة هيكلية للمجتمع في عصر العبيد كأساس له، مما أدى في النهاية إلى ظهور الفروق الإجتماعية خلال عصر أوروك بوجه خاص.

وتدلل كذلك آثار سوسه التي تعود إلى هذا العصر على وجود نوع من الفروق الإجتماعية في مجتمع سوسه خلال عصر العُبَيد، ومما تؤكده طريقة بناء المساكن في سوسه، حيث كانت القرى تختلف عن بعضها البعض من حيث المساحة، بل ووجدت أبنية فخمة في سوزيانا مما يفترض وجود نوع من التدرج الإجتماعي.

ويشير أيضاً التطور الذي حدث في عملية التبادل التجاري إلى نوع من التفرقة الإجتماعية وإلى ظهور مجموعة من الأشخاص كانت وظيفتهم الرئيسية تتلخص في الإدارة والتحكم في توزيع المنتجات وتبادلها. وربما كانت الأختام شارات دالة على وظائفهم، إلا أنه من الغريب أنه لم يتم العثور على أختام في جبانة سوسه. إلا أن البعض يفسر غياب الأختام في المقابر بأنها لم تكن في ذلك الوقت ملكاً للأفراد بل كانت ملكاً لمؤسسات عامة لذا لم تصل إلى مقابر الأفراد[٣٤] حيث كان استخدام الختم في البداية مقتصرا على المستوى الرسمي ثم انتشر استخدامه على المستوى العام حيث امتلكه الفلاحون والتجار وغيرهم[٣٥].

[34] F. Hole, in The Hilly Flanks Essays on the Prehistory of Southwestern Asia, 321

[٣٥] أحمد سعيد، الأختام في الشرق الأدنى فيما قبل التاريخ: مادة الصنع، الأشكال، النقوش، (تحت الطبع)

الدراسة التحليلية (التفسيرات المختلفة لهذه الزخارف)

لقد تناول العديد من الباحثين المتخصصين هذه الزخارف الآدمية على الأختام بالشرح والتفسير من وجهات نظر مختلفة:

إعتبر Amiet الزخارف الآدمية التي تصور الشخص ذا القرون أو بدون القرون على أختام سوسه خلال الفترة ما قبل المدنية I (سوسه B) دليلاً على تطور الجانب الديني والطقسي الذي كان يلعب فيه هذا الشخص، أي الحاكم، دور 'صاحب الحيوانات القديم'[٣٦]. بل ويذهب إلى أن هذا الشخص المصور يمثل الحاكم الحقيقي الذي يقوم بدور مخلوق ذي صفات خارقة للطبيعة[٣٧]. وأدى هذا الظهور لصورة الأشخاص الذين يقومون في الطقوس بدور ممثلي العشيرة إلى نشأة الهيئات البشرية للآلهة. وقد سبقه على الأختام 'صاحب الحيوانات'، أو حاكم الثعابين، والتيوس والكباش، التي قد انعكس شكلها على مظهره الخارجي بفضل إتصاله بهم. وكان الكبش والثعبان تشخيصاً للروح التي تهب الحياة الحيوانات. وتعبر إشارة يديه الممدودتين عن السلطة وعن الحماية في نفس الوقت.

هذا وأعاد الأشخاص المصورون على أختام لورستان (تبة جيان) وتبة جَورا وسوسه إلى الأذهان صورة مجتمع قديم يشبه مجتمع صيادي عصور ما قبل التاريخ. حيث كان هؤلاء الصيادون عندما يصورون التيوس البرية والكباش كانوا يعبرون عن إهتماماتهم الأساسية. وظل نمط الحياة ثابتاً في هذه المجتمعات تقريباً لعدة الآف من السنين ويدلل على ذلك مناظر مماثلة صورت على الأدوات البرونزية التي عثر عليها في لورستان وترجع للقرن الثامن قبل الميلاد[٣٨].

أما Porada فإعتبرت الشخص ذا القرون على الأختام تصويراً لصاحب أو حامي الحيوانات أو عفريتاً، وترى أنه من الواضح أننا لن نعرف أبداً ما إذا كانت هذه الهيئات تصور آلهة أم شامانيين[٣٩] أم حكاماً؟[٤٠].

---

[36] Amiet, MDAI, 72

[37] Amiet, L`âge des echanges interinraniens. 3500-1700 avant J.C., 36; Антонова, ВДИ, 8

[38] P. Amiet, 'Le probleme de l`iconographie divine en Mesopotamie dans la glyptique anterieure á l`époque d`Agade,' in Contributi e Materiali di Archeologia Orientale, (Roma, 1986)бV. 1, 10

[٣٩] شامان (shaman) تأتي من كلمة روسية أصلها تونجوزي، وهو رجل الدين في الديانة الشامانية، التي تعتبر واحدة من الظواهر الدينية المنتشرة في سيبيريا وآسيا الوسطى وتعتمد اساساً على تقنية الوجد. للمزيد أنظر:

فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الشعوب البدائية والعصر الحجري، (دمشق، ٢٠٠٧)، ١٤١-١٧٩

[40] E. Porada, Ancient Iran. The Art of Prehistoric Times, (London, 1985), 30

أما Barnette فركز على بعض الجوانب في المناظر التي تصور هذا الشخص والتي تشير إلى إنتماءه إلى ثقافة جبلية الطابع، ويرى في مناظر الأختام وفي أعمال النحت التي ترجع لهذا العصر تصويراً للصياد الذي يرتدي قناعاً كي يستطيع بسهولة الإقتراب من التيوس التي كان يصطادها. وربما أنه يمثل في نفس الوقت حامياً للتيوس. بالإضافة لهذا يشير Barnette مثل غيره إلى أن هذا الشخص كان مرتبطاً بالبيئة البرية بصورة خاصة وهذا بسبب كبر حجم قرونه المميز للحيوانات البرية. إلا أنه لدينا بعض أختام صُور عليها هذا الشخص بقرون صغيرة أو قصيرة تشبه قرون الغزال، وربما كان هذا بسبب بُعد سكان القرية صانعي هذه الأختام عن الجبال، مكان معيشة التيوس البرية[٤١].

من الواضح أن كل التفسيرات السابق ذكرها حول تصوير هذا الشخص ذي القرون على الأختام قد بالغ أصحابها في تفسير أهمية أحد جوانب المناظر التي صُور بها. فنجد – طبقاً لهذه التفسيرات – أن مجتمعاً جبلياً قد تمرس أصحابه على الإقتصاد الزراعي منذ فترة طويلة قد عاد إلى عالم الرمزية التي كانت سائدة في مجتمع الصيادين الأوائل. ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن بمجتمع الصيادين الحقيقيين أختام ولا حتى مناظر لأشخاص ذوي قرون ولا منتجات برونزية مثل 'منتجات لورستان البرونزية'، التي استمر عليها ظهور 'صاحب أو صاحبة الحيوانات' لفترة طويلة.

إذاً ليست الظواهر البدائية التي كانت تميز ثقافة سكان بلاد ما بين النهرين وإيران وحياتهم الإجتماعية، تعتبر أساساً لتفسير الزخارف الآدمية وأسباب ظهورها بوجه عام، ولا حتى ظهورها على مثل هذه المنتجات ذات الطابع والوظيفة الخاصة مثل الأختام. لذا فإنه من الأوقع أن ننظر إلى مظاهر التقدم التي طرأت على حياة المجتمع في ذلك الوقت، والتي يمكنها أن تقدم تفسيراً لكل هذا[٤٢].

تتمثل وظيفة الأختام في طبع ما نقش عليها على مواد لدنة مثل الصلصال، ولو إفترضنا أنها كانت في البداية تستخدم لأغراض سحرية في المجتمعات البدائية ذات الإنتاج البدائي نسبياً[٤٣]، فإنها أصبحت في المجتمعات الأكثر تقدماً تستخدم في التحكم والسيطرة على محتويات المخازن والحاويات[٤٤].

إرتبط ظهور طبعات الأختام على الصلصال بفترة تميزت بتغيرات في الحياة الإقتصادية والإجتماعية، على سبيل المثال، تطور نظام تقسيم العمل ونشأة التخصص

---

41 R.D. Barnette, 'Homme masque ou dieu-ibex?', Syria XLIII 1966, 263, fig. 3-4

42 Антонова, ВДИ, 9

43 Е.В. Антонова, 'К проблеме функций печатей первобытных земледельцев Востока', СА № 4, (Москва, 1984)

44 E. Fiandra, P. Ferioli, 'The Administrative Functions of Clay Sealing in Prehistoric Iran' in G. Gnoli, A.V. Rossi (ed.), Iranica (Napoli, 1979)

الحرفي (حتى وإن كان في شكله البدائي) من ناحية ونشاط ملحوظ في عملية التبادل التجاري داخلياً وخارجياً على مسافات بعيدة[٤٥].

وتعتبر الأختام التي ذكرناها من قبل وتحمل زخارفاً متشابهة من تبة جَورا، تبة جيان وسوسه خير دليل على مثل هذا التبادل التجاري الذي كان يتم على مسافات بعيدة،. وكانت المواد الثمينة النادرة أو المنتجات التي كانت تستخدم كعلامات مميزة للطبقة العليا في المجتمع هدفاً لهذا التبادل.

وتوجد عدة أسباب تفسر لنا التطور الذي طرأ على التبادل التجاري لدى المزارعين البدائيين، من أهمها: طبيعة الحياة الزراعية المستقرة التي حدت من وصول هؤلاء المزارعين إلى مصادر المواد الخام، مع إزدياد الحاجة إليها، بالإضافة الى وجود مواد زائدة عن الحاجة ومناسبة لعملية التبادل التجاري[٤٦].

أما فيما يخص التخصص الحرفي فشهدت حضارة العُبَيد ظهور قرى كان سكانها يشتغلون- على سبيل المثال- بإستخراج وصناعة المعادن[٤٧] وإستخراج وصناعة الأحجار والأواني.[٤٨] هذا وقد تميزت بعض أجزاء القرى في حضارة العُبَيد عن غيرها حيث كان أهلها يمارسون أنشطة بعينها.

وقد كشفت لنا أعمال الحفر الأثري التي أجريت خلال ثلاثينيات القرن العشرين في موقع تلي-باكون A (الطبقة الثالثة) الذي تميزت به منطقتان في الجزء الأوسط والجنوبي من الموقع كانتا تُستغلان كمكان لصهر وتصنيع النحاس وصناعة الأختام الحجرية. وتدل الآثار المكتشفة في هذا الموقع على وجود علاقات مع سواحل الخليج العربي ومنطقة كرمان وشمال شرق إيران والجزء الأوسط من الهضبة الإيرانية. أما المنطقة الشمالية للموقع فكانت لها وظيفة أخرى، حيث كانت تستغل لتخزين المادة الخام ومنتجات أخرى وكان يتم منها الإشراف على عملية توزيع المنتجات على السكان. ويدلل على الوظيفة الأخيرة العثور على أختام وطبعاتها في هذه المنطقة بالذات.

هذا ويشير تزايد تركز المواد الثمينة الغير محلية في القرى منذ حضارة العُبَيد إلى عدم تكافؤ الفرص في الحصول على هذه المواد، ويشير هذا بدوره إلى ظهور الفوارق الإجتماعية.[٤٩]

---

[٤٥] اصطلح المتخصصون على تسمية هذا النوع من التبادل التجاري باللغة الإنجليزية Long Distance Trade

[46] История первобытного общества. Эпоха классообразования, (Москва, 1986), 341

[٤٧] مثل تل إبليس و قرى أخرى كان سكانها يستغلون مناطق إستخراج المعادن في وسط إيران

[48]Wright, 'Obsidian Analyses and Protohistoric Near Eastern Trade: 7500 to 3500, 69-75; M. Tosi, The Notion of Craft Specialization in the Archaeological Record of Early State in the Turanian Basin' in M. Spriggs (ed.), (Cambridge, 1984)

[49] Wright, Obsidian Analyses and Protohistoric Near Eastern Trade: 7500 to 3500, 72

يرى Alizadeh أن المنتج الفائض في تلي–باكون لم يأت عن طريق الزراعة بل من تربية الحيوانات التي إزدهرت نظراً للظروف الطبيعية المناسبة.[٥٠] إذاً كانت تلعب تربية الحيوانات دوراً هاماً في إقتصاد سكان إيران وربما كذلك بلاد ما بين النهرين، حيث كان لتربية الحيوانات آثار مهمة في حياة المجتمع، حيث كان يمكن تحويلها إلى ثروة بسهولة، فإذا كان مخزون المنتجات الزراعية في ظل ظروف المجتمع البدائي من الصعب أن يتم توفيره لأكثر من سنتين أو ثلاثة فإن الحيوانات يمكن أن تستمر لفترة أطول بكثير، حيث إن زيادة أعداد الحيوانات ليس بغرض الإستهلاك ولكن بغرض التخزين يصبح لدى المزارعين المصدر الأساسي للثروة'.[٥١]

ويمكننا الربط بين هذا الدور الإقتصادي الهام لعملية تربية الحيوانات بالذات وبين الزخارف الحيوانية التي صُورت على الأواني الفخارية خلال حضارات العصر الحجري النحاسي. ولا يمكن أن نرجعها لمعتقدات طوطمية قديمة التي ربما لم تكن ذات أهمية كبرى في حياة مجتمع يعيش في ظروف الإقتصاد الإنتاجي المستقر لأكثر من ألف سنة.

إذاً من الطبيعي أن مجال تربية الحيوانات وما يمثله من أهمية لدى المجتمع في ذلك الوقت أن يصبح مصدراً لعلامات تميز الطبقة ذات المكانة الإجتماعية العالية. ومن الجدير بالذكر أن هناك مجالات إقتصادية أخرى هامة في حياة المجتمع ولكنها لم تكن مصدراً لعلامات تميز المكانة الإجتماعية المرتفعة، فلم تظهر– على سبيل المثال – علامات النشاط الحرفي بين رموز السلطة في الشرق القديم.

لكن من الواضح أن الأشكال المتربطة بتربية الحيوان وبالحيوانات نفسها كانت في مركز إهتمام المجتمع. وأصبحت هذه الأشكال منتشرة بصورة خاصة في فترة نشأة الفروق الإجتماعية في المجتمعات البدائية ونشأة الممالك المبكرة. حيث أعطى الإقتصاد القائم على تربية الحيوان والرعي لأصحابه إمكانية رفع مكانتهم الإجتماعية.[٥٢]

---

[50] A. Alizadeh, 'Socio-economic Complexity in Southwestern Iran during the Fourth Mill. B.C.: the Evedence from Tall-i-Bakun A', Iran XXVI (1988)

[51] Э.О., Березкин Некоторые вопросы возникновения раннеклассовых формаций, в Общее и особенное в историческом развитии стран Востока, (Москва, 1966), 59; И.М. Дьяконов, Общественный и государственный строй древнего Двуречья. Шумер, (Москва, 1959), 92

من الجدير بالذكر أن الوثائق خلال عصر أوروك IV-III تتضمن ليس فقط القرابين وتوزيع المواد الطبيعية بل و حساب عدد رؤوس الماشية، أما حسابات الحقول لم تذكر إلا في نهاية الفترة.

[52] Г.Е. Марков, Кочевники Средней Азии, (Москва, 1976), 232; К. Йеттмар, Религии Гиндкуша, (Москва, 1986), 40, 160, 354-355, 398

أشار بعض الباحثين[٥٣] إلى المكانة الكبيرة التي كانت تشغلها الصور الحيوانية على الأختام وفي الأساطير السومرية. حيث كانت تسود لدى السومريين عقائد تقول بإن الصيادين ومربي الحيوانات كانوا يعتبرون أجداداً للمواطنين. ويذكرنا هذا الإعتقاد بأن أحد أشهر الآلهة السومرية، الإله دموزي – زوج إنانا والشكل الأسطوري لملوك إيسين ولارسا – كان راعياً. وكان عالم الحيوانات الأليفة يُعتبر لديهم عالماً قريباً منهم وامتدت حماية الإله سوموكان، إله الحيوانات البرية لتشمل الحيوانات الأليفة.

إلا أنه على الرغم من أن زخارف الأختام لها ما يطابقها في الأساطير، فإن هذا لا يفسر لماذا كانت الأشكال الحيوانية تلعب دوراً هاماً جداً لدى صانعي الحضارة من المواطنين وممثلي الإدارة والحكم؟ لماذا أصبح التاج ذو القرون واحداً من أهم رموز الآلهة في إيران وبلاد ما بين النهرين وغيرها من المناطق المجاورة؟.

بالإضافة إلى ذلك لا يمكننا أن نتفق تماماً مع الرأي القائل بأن المكانة الكبيرة التي كانت للأشكال الحيوانية على أختام أوروك وجمدة نصر كانت مرتبطة بطقوس سحرية خاصة بالخصوبة[٥٤]، حيث إن هذا الرأي لم يتعرض للسبب الرئيسي لهذه الرمزية الهامة للصور الحيوانية، سواء الأليفة منها (الماشية) أو البرية. ومن الواضح أن النباتات لم تكن تلعب مثل هذا الدور الهام.

لقد لعبت الحيوانات البرية دوراً هاماً لدى المزارعين والرعاة الأوائل في فهم وإدراك العالم من حولهم، حيث إنها كانت تُعتبر علامات تستخدم في صياغة العالم الذي ينقسم بدوره إلى عالمين 'عالمنا' و'عالم آخرغريب عنا'. ففي هذه الفترة كان المزارعون المستقرون لم يعتبروا أنفسهم وحدة واحدة مع الطبيعة بعد ما قطعت طبيعة الإقتصاد الزراعي المستقر صلاتهم المباشرة بالطبيعة[٥٥] وكانوا يحاولون فهم الكون وتركيبه معتمدين على ما يرون في الواقع. فكانوا يرون في الحيوانات البرية سكاناً للمناطق الغريبة عنهم مناطق لم يسيطروا عليها أو يسكونها مثل القرية أو المناطق المجاورة. ويعتبر هذا العالم الذي تسكنه الحيوانات البرية طبقاً للمعتقدات السومرية عالماً خطراً ولكنه نافع للناس. أما الحيوانات الأليفة فهي قادمة من هذا العالم الغريب، أي أنهم قريبون منه لذا كان يمكن أن يقوموا بدور الوسطاء بين عالم الإنسان وعالم الحيوانات البرية.

من هذا المنطلق يمكننا فهم السبب وراء تقديم هذه الحيوانات الأليفة كقرابين ورسمهم على الأواني والأشياء الأخرى وإستخدام عناصر من شكلهم الخارجي في

---

[53] В. К. Афанасьева, Гильгамеш и Энкиду. Эпитические образы в искусстве, (Москва, 1979), 72 сл.

[54] P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, 188

[55] Е.В. Антонова, Дикие животные в искусстве древних земледельцев, в Центральная Азия. Новые памятники письменности и искусства, (Москва, 1987)

الملابس الطقسية والمذابح والمعابد. ومن الجدير بالذكر أن الزخارف الآدمية ذات العناصر الحيوانية كانت نادرة جداً بشكل عام، بل ولم توجد تماماً في المجتمعات البدائية، حيث كانت تسود المساواة بين أفرادها. وظهرت هذه الأنواع من الزخارف في المجتمعات التي شهدت ظهور الفروق الإجتماعية بصورة واضحة. وفي هذا الوقت بدأت أشكال الحيوانات تستخدم في صياغة العلاقات بين الأفراد داخل المجتمع، أما عالم الحيوانات البرية فقد أصبح عالماً للآلهة[٥٦].

عندما تعرضت Porada للزخارف المصورة على أختام إيران خلال الألفين الثالث والرابع ق.م. تحدثت عن إمكانية علاقة الصور الحيوانية بشخصيات نسائية، أي بالإلهة الحامية لهم واستشهدت كتأكيد لرأيها ببعض ملاحظات Jettmar، التي وصف بها طقوس الإلهة موركوم في منطقة هندوكوش[٥٧]، التي كانت إلهة حامية للعنزات البرية والنساء[٥٨]. وعلى الرغم من وجود بعض النساء بين 'أصحاب الحيوانات' على الآثار الإيرانية إلا أن عددهم كان قليلاً، حيث كانت تسود الأشكال المذكرة كما رأينا سالفاً.

تُمثل مثل هذه الدراسات الإثنوجرافية التي قام بها Jettmar وغيره من باحثين في هندوكوش أهمية كبرى لنا حيث إنها تمكننا من تصور تلك الظروف الإجتماعية والإقتصادية والثقافية التي نشأت فيها تلك الصور الحيوانية وصور الأشخاص الذين كانوا على علاقة بهم. وتجعلنا أيضاً نرى في هذه المجتمعات نظائر نمطية لمجتمعات المنطقة قيد البحث خلال الفترة الإنتقالية من عصور ما قبل التاريخ وعصر نشأة الممالك الأولى.

لقد لعبت تربية الماشية دوراً هاماً لدى سكان هندوكوش وكانت أساساً للفروق الإجتماعية. ومن أجل رفع المكانة الإجتماعية كانت تُقام الأعياد والموائد المختلفة التي كانت تذبح من أجلها الماعز والأغنام التي يربونها. وكانت تربية الماشية عملاً للرجال في كل المناطق، مثلها مثل الصيد، التي إرتبطت به في الطقوس والمعتقدات. وكانت العنزات والنعاج أحياناً تكون مادة للطقوس (أي تكرس الطقوس لها) وأحياناً مشاركين بها (كقرابين) وكانت معظم هذه الطقوس مرتبطة بالخصوبة والوفرة والخير... وكانت الأرواح والآلهة المذكرة والمؤنثة تظهر في شكل هذه الحيوانات أو كانوا يستخدموها للركوب (للإنتقال). وعُرفت لديهم تماثيل الإله ذي القرون وكانوا يعتقدون أن الحيوانات مخلوقات طاهرة وكانت قرونها تزين المباني الدينية أو الطقسية، بل وكانت

---

[56] Е.В. Антонова, Очерки культьуры древних земледельцев Передней и Средней Азии. Опыт реконструкции мировосприятия, (Москва,1984), 110-118

[٥٧] هي سلسلة جبلية تقع في منطقة آسيا الوسطى، معظمها في أفغانستان والجزء الشرقي منها ذو القمم المرتفعة يقع في باكستان

[58] E. Porada, Ancient Iran. The Art of Prehistoric Times, 44

بعض أنواع العنيز لدى قبائل الكالاشي تعتبر مقدسة .وأخيراً كانت الرقصات التي غالباً ما تحمل طبيعة الوجد (الغيبوبة) تمثل عنصراً رئيسياً في مثل هذه الطقوس.

وبمناسبة الحديث عن زخارف الأختام هناك منظر من جيلجيت (منطقة بشمال باكستان) يمثل رقصة خلال أعياد بداية الربيع، كان المشاركون في هذه الطقسة يرتدون جلود تيس جبلي وعلى رؤوسهم ثبتت قرون تيوس[٥٩].

ولقد ارتبطت الشخصيات الأسطورية بشكل أو بآخر بالحيوانات وكانت أهم وظائف هذه الشخصيات تتمثل في تنظيم أشكال الحياة الإجتماعية. ونلاحظ في منطقة هندوكوش وجود علاقة متبادلة وقوية بين المعتقدات الاسطورية والطقوس من ناحية وخصائص الإقتصاد والبنية الإجتماعية من ناحية أخرى. وأخيراً أود أن أشير إلى أنه كان يقف وراء كل الأشكال الحيوانية أشخاص ذوو صفات خارقة للطبيعة يرسلون الخير والمنفعة وأشياء أخرى للناس ولها نظائر حقيقية في الهيكل الإجتماعي الواقعي.

أختام أوروك–جمدة نصر

وعودة مرة أخرى إلى المادة الرئيسية للبحث الحالي وهي الأختام، ولكن هذه المرة إلى أختام تعود إلى فترة زمنية متأخرة عما سبق ذكره، أي عصر أوروك وجمدة نصر (شكل هـ). فقد شهدت بلاد ما بين النهرين خلال منتصف الألف الرابع قبل الميلاد تغيرات ملحوظة خاصة في الجنوب حيث تطورت الزراعة القائمة على الري، زادت المساحة المزروعة وعدد القرى، وتجمعت حول مستوطنات العُبَيد السابقة وكانت الحاجة ماسة إلى التجمع من أجل المشروعات ذات المصلحة العامة مثل شق القنوات وتطهير القائم منها وتوزيع مياه الري، عندئذ برزت الحاجة لتوحيد الرأي في شخص واحد في حاكم المدينة أو الكاهن الأكبر[٦٠]، الذي بدأ يظهر لنا بهيئته البشرية الخالصة على الأختام بالذات.

واستُبدلت في هذه الفترة معظم الأختام المنبسطة بالإسطوانية[٦١] التي ظهرت لأول مرة في الطبقتين الخامسة والرابعة من الوركاء.[٦٢] وتفوق الأهمية التاريخية للأختام كثيراً على قيمتها الفنية لأنها المادة الوحيدة التي تعود لفترة أوروك التي يظهر

---

[59] (K. Jettmar, The Religions of the Hindukush: The Religion of the Kafirs, 1986) in Russian: К. Йеттмар, Религии Гиндкуша, 60, 70, 102, 127.

[٦٠] محمد الشحات عبد الفتاح شاهين، تاريخ وحضارة العراق القديم، (القاهرة، ٢٠٠١)، ٦٩

[٦١] الأختام الإسطوانية عبارة عن أسطوانة صغيرة مصنوعة إما من حجر عادي أو شبه كريم يتراوح طولها ما بين ٣–٨ سم، وسمكها يقدر بسمك الإبهام ويتم ثقبها طولياً كي يمكن لبسها كقلادة حول عنق صاحبها، وعلى سطح هذه الإسطوانات تم حفر تصاميم معينة تترك أثراً مطبوعاً على الطين عند سحبها عليه.

[٦٢] أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ العراق القديم، ١٣٨

فيها البشر فتعكس لنا بعض جوانب وظائفهم الحقيقية (حرب، أعمال الفلاحة، إحتفالات يقوم بها كاهن عار...إلخ).[٦٣] فحملت الأختام الأسطوانية، التي تعود لهذ الفترة، نقوشاً صورت مناظر دينية وأسطورية ودنيوية وعناصر زخرفية أخرى. وبلغت نقوش أختام أوروك غايتها من التنوع خلال المرحلتين الرابعة والثالثة، فصورت مناظر دينية ورمزت إلى تقوى الحكام وعلية القوم[٦٤].

ظهر على زخارف هذه الأختام 'صاحب الحيوانات' السابق في هيئة بشرية خالصة، كما وصفته Porada[٦٥] أو 'الملك–الكاهن' كما يسميه Amiet[٦٦]، بدلاً من الشخص ذي القرون على أعتبار أن هذه المناظر تعكس الوظائف الرئيسية لهذا القائد الإجتماعي كالوظائف الكهنوتية والحربية. لكن من الأفضل أن نسميه 'الزعيم–الكاهن' أو 'الكاهن الأكبر'[٦٧].

وصُور هذا الشخص عاري الجسد حتى منطقة الخصر مرتدياً نقبة طويلة، وأحياناً نادرة نقبة قصيرة (تظهر النقبة القصيرة في المناظر التخطيطية البسيطة ومناظر القتال)[٦٨]، ملتحياً بلحية مستعارة[٦٩]، له غطاء رأس ذو إطار بارز أو ربما كان شعره ملفوفاً في هيئة حزمة صغيرة على قفاه وقد أستخدم شريطاً أو طوقاً ليجعل حزمة الشعر متماسكة[٧٠]. وهو مصور بدون قرون في هذه الحالة، و يشارك في أحداث مختلفة. ولكي نوضح وظائفه لابد من دراسة جميع نشاطاته المصورة على المناظر، لكننا سوف نقف عند أهمها فقط.

أولاً: تقدمة أشياء أو حيوانات أو بشر أمام مبنى أو بناء يُصور أحياناً في هيئة واجهة مبنى أو أعمدة ذات أشرطة (ربما تعبر عن صاري المعبد أو حزمتي القصب العقوفتين رمز الإلهة إنانا). وأحياناً كان يقوم بهذه العملية أمام إمرأة ترتدي عباءة وغطاء رأس أو ذات تسريحة تشبه القرون، وفي أحيان أخرى كان هذا الشخص

---

[٦٣] جورج رو، العراق القديم، ١١٠–١١١

[٦٤] عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ٥٧٦

[65] E. Porada, Ancient Iran. The Art of Prehistoric Times, 32

[66] P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, 83

[67] E. Antonova, Images on Seals and the Ideology of the State Formation Process, Mesopotamia XXVII (1992), 83

[68] P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, № 660-661

[٦٩] أنطون مورتكات، الفن في العراق القديم، (بغداد، ١٩٧٥)، ٣٦

[٧٠] وتعتبر هذه التركيبة من حزمة الشعر والطوق هي الأكثر إحتمالاً من غطاء الرأس ذي الإطار. وتدلل على صحة هذا الإفتراض أغطية الرأس المتأخرة التي تعود لعصر الأسرات المبكرة، بالذات الخوذة الذهبية الرائعة للملك؟ "مس–كلام–دوج" التي عثر عليها في مقبرة أور الملكية. وتُظهر هذه الخوذة، الخاصة بالإحتفالات، تصفيفة الشعر التي كانت سائدة في ذلك الوقت. انظر:
جورج رو، العراق القديم، ١٨٩، ٦٤١

يمسك بشيئ يشبه مجسم صغير للأعمدة ذات الأشرطة، وأهم ما كان يقوم بتقديمه: السنابل، دبوس القتال، إناء على هيئة حيوان، أسد مقتول (شكل هـ: 1).

وصُور الزعيم بمفرده أو يرافقه شخص آخر أقل منه سناً وحجماً وبدون لحية يرتدي نقبة أقصر من نقبته تصل حتى ركبتيه وشعره طويل منسدل على ظهره. وهو أيضاً يحمل (تقدمات) قرابين من الخرز أو إناء (شكل هـ: ٤ ، ٥). ولكن الدور الحقيقي الذي يلعبه هذا المرافق في المناظر ليس واضحاً وهناك منظر يُصور الزعيم وهو يسكب على رأس هذا الشاب شيئاً ما، ربما كتعبير عن أنه يقوم بإطلاعه على الأسرار أو تنصيبه؟. وعلى لوحة بلاو[٧١] صُور الزعيم مادا يديه لهذا الشاب بحزام أو صولجان؟ ويستنتج العلماء من هذا المنظر أن هذا الشاب ربما كان مشاركاً للزعيم في السلطة، بل ربما كان إبناً له[٧٢]. إلا أن هذا الإفتراض يحتاج إلى تأكيد ودليل، وربما يشير طول نقبة هذا الشاب إلى وظيفته، حيث كان الزعيم يرتدي مثل هذه النقبة في مناظر الصيد والحرب، كما لو أن صغر سن هذا الشخص يشير إلى وظيفة الزعيم–الكاهن كقائد عسكري.

وكان الزعيم يُصور أحياناً أمام مبنى كقائد للمعركة أو مشاركاً في نتائجها وهو يقوم بقتل الأعداء (الأسرى)، وربما كان هذا المبنى، المزين بثلاثة أزواج من القرون، عبارة عن معبد الإله[٧٣] (شكل هـ: 2). وهناك ختم تصور مناظره ساحة حرب يتصدرها هذا الزعيم ذو اللحية الكثيفة والعمامة الكبيرة والنقبة القصيرة، يقف منتصباً مستنداً إلى رمحه في إعتزاز وقوة وقد تجمع أمامه عدد من زعماء أسراه عراة، ومنهم إثنان تقدما إليه في خضوع يعلنان التسليم وثلاثة رجال قيدت سواعدهم خلف ظهورهم وألقوا أذلة على أرض المعركة[٧٤] (شكل هـ:٣).

وصور ختم آخر (من الحجر إرتفاعه ٤،٣ سم من تلا قرب الموصل – المتحف العراقي ببغداد)[٧٥] رجلاً كبير المقام (الزعيم–الكاهن؟) في مرحلتين من مراحل زيارته لمعبد هام، فأظهرته في بداية الرحلة يستقل قارباً[٧٦] يجدف به أحد أتباعه متوجهاً إلى مرساة المعبد الذي يرمز له بالمنظر بالواجهة فقط. ثم صور وهو

---

[٧١] وهي لوحة سيمت هكذا نسبة إلى مالكها السيد بلاو Blau التي أهداها للمتحف البريطاني. أنظر:
P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, Pl. 48 bis D

[72] P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, 95, 100

[73] P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, № 642-643, 645, 647-649, 651, 660-661

[٧٤] سليمان سعدون البدر، منطقة الخليج العربي خلال الآلفين الرابع والثالث قبل الميلاد، (الكويت ، ١٩٧٤) ، ٨٣

[٧٥] سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، (القاهرة، ١٩٨٧)، ٣٢٥

[٧٦] تم العثور قبل هذا على نموذج لقارب من الفخار في اريدو، أما قوارب أوروك و تل بلا كانت منحوتة عل الأحجار.
(أندري بارو، سومر، فنونها وحضارتها، (بغداد، ١٩٧٧)، ١٢٢)

يسير في رحاب المعبد مبتهلاً ضاماً كفيه تجاه وجهه مع ثني إبهامها إلى الخلف مرتدياً نقبة قصيرة على شكل شبكة ويحف به كاهنان يرفعان قلادتين فخمتين أهداهما إلى ربة المعبد.[٧٧] ربما كانت هذه الشخصية تصور الشاب الذي يرافق الزعيم–الكاهن في المناظر الأخرى وذلك نظراً للنقبة القصيرة التي يرتديها بالمنظر.

وهناك ختم آخر بمتحف برلين (من اللازورد، له مقبض من الفضة على شكل عجل صغير إرتفاعه ٤،٣، قطره ٣،٥ سم من الوركاء)[٧٨] يصور قارباً ينقل شخصية مهيمنة على المشهد بدلالة الحجم والدور، إنه الزعيم–الكاهن، الذي يتوسط القارب، يرتدي نقبة طويلة على هيئة شبكة أو ربما كانت من نسيج شفاف؟. يسير القارب ملاحان وقف أحدهما خلف الزعيم ممسكاً بعصا طويلة (شوكة) والثاني أمامه يمسك مجدافاً لتوجيه المركب. وصور على القارب ثور يحمل على ظهره مذبحاً مدرجاً له حزمتا قصب مشدودتان شداً وثيقاً، ربما كان على الزعيم أن يقدم مذبحاً جديداً وبوابة؟ لمعبد الإلهة (إنانا) بدلالة حزمتي القصب المعقوفتين اللتين تزينان المذبح. وقد حُمل المذبح بشكل متوازن دقيق على ظهر الثور والذي يحتمل ان يُضحى به على المذبح الذي يحمله.

من الواضح أن الفنان لم يعرف شيئاً عن المنظور ولا يوجد هنالك إعتبار للنسب. ففي هذا الختم نجد أن مقدمة ومؤخرة المركب الذي ينقل الثور والمذبح مرتفعتين بشكل غير طبيعي لدرجة أنه لو رُسم خط بين قمتيهما لمر فوق رأس الركب الرئيسي. وقد صاحب هذا الرجل ذا الحجم الأكبر في المنظر ثور وقطعة مستطيلة ما يزال مغزاها سراً من الأسرار. فإذا كان يمثل قطعة من بناء، فربما كان واجهة معبد أو بوابة. إلا أن هذا الرجل لا يستطيع أن يدخل المعبد إلا بالزحف على أطرافه الأربعة كلها.[٧٩]

ومن أهم نشاطاته أيضاً عملية إطعام الحيوانات وهو ربما يمثل هنا حامي الحيوانات ويذكرنا 'بصاحب الحيوانات' الأقدم. وكانت هذه الزخارف مميزة لأختام مدينة أوروك وتتم عملية الإطعام بجوار أحد المبانى الذي يُعبر عنه في المنظر بحزمتي القصب المعقوفتين. يُقدم الزعيم أفرع نباتية بسيطة، وأفرع نباتات مزهرة ذات وردات ثمانية الوريقات أو يقدم سنابل للأغنام (شكل هـ:٢). ويساعده أيضاً في هذا المنظر ذلك الشاب ذو الشعر الطويل المسترسل.

وهناك منظر مصور على ختم اسطواني من المرمر (موجود بمحتف برلين، إرتفاعه ٥،٤سم وقطره ٤،٥سم) يصور رجلاً يلبس نقبة من نسيج يشبه الشبكة يقوم

---

[٧٧] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ٥٧٧

[٧٨] سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، ٣٢٤–٣٢٥

[٧٩] أندري بارو، سومر، فنونها وحضارتها، ١٢٢– ١٢٣

بإطعام كبشين في إتجاهين مختلفين من غصنين بيديه (شكل هـ:٢). ومن الجدير بالذكر أن الوريقات الثمانية لكل وردة ترمز للإلهة إنانا، هذا بالإضافة إلى رمزها الموجود على يمين الناظر. وهناك كذلك إناءان بين رمزي الإلهة إنانا على اليمين يشبهان إلى حد كبير إناء الوركاء. هل هما إناءان نذريان أم أستخدما لحفظ القرابين السائلة؟. ونقش فوقهما حمل (ربما عبارة عن تمثال؟). وأخيرا كان لهذا الختم مقبض على هيئة كبش صغير راقد.[٨٠]

ويُقارن هذا المنظر السابق بمنظر صُور على ختم محفوظ بالمتحف البريطاني يوضح مشهداً أسطورياً وشعائرياً في نفس الوقت. فالزعيم–الكاهن يدنو من شاتين ويمسك في إتجاهيهما بكلتا يديه غصناً عليه زهرة ذات ثمانية وريقات. وهناك شاتان أخريان تظهران بين حزمتي قصب الإلهة، وهما تدنوان من الملك.[٨١]

ومن الواضح أن بعض مناظر الأختام التي تمثل تقديم الهدايا (القرابين) تتطابق مع المناظر المصورة على إناء طقسي (مزهرية) من أوروك. فقد صور عليه –طبقاً لرأي الكثير من الباحثين–أحد جوانب طقسة الزواج المقدس، وهو منظر يصور 'الزعيم–الكاهن'، ممثل العشيرة وهو يقدم الهدايا (القرابين) للمعبد الذي بدوره يعبر عن مسكن عروسه الإلهية[٨٢]. وتستقبله أمام المعبد إمرأة ربما تعبر عن كاهنة الإلهة إنانا. لقد كانت طقسة الزواج المقدس واحدةً من أهم الطقوس، حيث كان يتم خلالها تحقيق الإتحاد بين العشيرة والإله الحامي لها وهذا شرطاً وضماناً للحياة واستمرارها. إذاً طبقاً للأعمال التي كان يقوم بها والموضحة بالمناظر وتقدماته، كان هذا الشخص يجمع بين وظائف الزعيم الإقتصادية، الدينية (كاهن) والعسكرية (كقائد عسكري).

إن تصوير هذين الموضوعين الرئيسيين في المناظر (تقديم الهدايا وإطعام الحيوانات) يشير إلى أن الجانب الطقسي يعتبر الرئيسي من بين أنشطة هذا الزعيم، بل والوحيد الذي يستحق التصوير على الأختام. وبوجه عام كان كل نشاط يقوم به الزعيم–الكاهن الذي يُعبر عن القائد الإجتماعي يُصور على الزخارف على أنه كان يُمارس من أجل الإله والمعبد الذي كان دائماً ما يُصور في المناظر حتى وإن كان في شكل تخطيطي بسيط[٨٣]، ومن أهم هذه الرموز التي عبرت عن مدخل المعبد كان

---

[٨٠] سيد توفيق، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، ٣٢٣، شكل ١٢٣

[٨١] أنطون مورتكات، الفن في العراق القديم، (بغداد، ١٩٧٥)، ٥٢–٥٣

[82] Е.В. Антонова, 'Вещь в контексте обряда، ваза из Урука', в Проблемы интерпретации памятников Востока, (Москва, 1990)

[83] Дъяконов, Общественный и государственный строй древнего Двуречья. Шумер, 186, прим. 147,210 قارن هذا بأعمال الملوك السومريين، التي كانت تفسر على أنه تم القيام بها من أجل الآلهة: فغزا كلا من الملك إياناتوم وإياناتوم الأول البلاد من أجل نينجرسو، ويأتي الملك سرجون بالملك لوجال زاجيزي المهزوم إلى 'بوابة إنليل' كإشارة تكريس هذا الإنتصار للإله.

حزمتا البوص المعقوفتان الموضوعتان جنباً إلى جنب.[٨٤] وكانت كل ممارسات السلطة السياسية البشرية مقدسة مهما كانت النواحي التي إنصرفت إليها، فالممارسات الإقتصادية ولإجتماعية والسياسية حالها مثل حال الممارسات الدينية، كانت مقدسة.[٨٥] ومن الجدير بالذكر أن أنشطة هذا الزعيم كانت شاملة وكان هذا مميزاً لملوك الدول التي نشأت في منطقة بلاد ما بين النهرين في الفترة المتأخرة[٨٦].

ظهر الزعيم–الكاهن الآن بدون علامات حيوانية (أي القرون) ، التي كانت لدى سلفه (صاحب الحيوانات) والتي أصبحت فيما بعد من أهم مميزات أو شارات الآلهة، أي غطاء الرأس ذي القرون أو فقط مجرد القرون[٨٧]. لكنه على الرغم من أن الزعيم–الكاهن ظهر بدون هذه العناصر الحيوانية إلا أن علاقته بعالم الحيوانات وصلاته به كانت وثيقة، حيث نجده يُصور في المناظر يطعم الماعز وينتصر على الحيوانات الوحشية[٨٨]. وكانت الزخارف التي تصور الحيوانات البرية والمستانسة، وصيد الحيوانات، والكائنات المركبة من عناصر بشرية وحيوانية بشكل عام تحتل

---

[٨٤] عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، (القاهرة، ١٩٦٦)، ٣٠

[٨٥] عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، جـ٢ (بغداد، ١٩٨٦)، ١٢٥

[٨٦] ليو أوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ١١٧–١٢٨; جورج رو، العراق القديم، ١٨٧–١٨٨
من المميز أن هناك عدداً من ألقاب السومريين والآكاديين تشير إلى نفس الرمزية التي صُورت في محتواها الزخارف موضوع البحث والتي تعود إلى نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث ق.م. فكانوا 'رعاة الشعب' Sipa، هكذا كان يدعى جوديا، أورنامو، شولجي، ليبيت–عشتار وغيرهم. الملك كان حيواناً قوياً 'الثور' (am) – هكذا كان يدعى شولجي، ليبيت–عشتار، إشمي–داجان. وكان الملك ايضاً اسداً (pirig) كما كان يدعى شولجي، وحمورابي. وكانت أعمالهم تتطابق مع القابهم، وكان للصيد مكانة خاصة في حياتهم، حيث كان يعتبر حرباً في وقت السلم. انظر:
M.J. Seux, Epithetes royale akkadiennes et sumeriennes, (Paris, 1967), 436-437, 441-446;

[٨٧] غطاء الرأس ذو القرون لم يكن فقط من أهم شارات الآلهة، بل كان رمزاً لبعضهم (أنو، إنليل). وطبقاً لرأي Dhorme كانا قرني الثور رمزاً للقوة. أما Amiet فيرى أن غطاء الرأس ذا القرون كرمز للإله ظهر في عصر الأسرات المبكرة. أثناء ذلك كانت القرون تظهر كما لو أنها مثبتة على الرأس أو على الشريط (العصابة). وأصبح هذا الغطاء أكثر إنتشاراً في العصر الآكادي عندما ظهر غطاء الرأس الذي يتوج بأزواج من القرون.
E. Dhorme, Les religions de Babylonie et d`Assyrie, (Paris, 1949), 13-14; Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, 162

[٨٨] تجدر الإشارة هنا إلى ما يسمى بمسلة صيد الأسود من الوركاء، وهي كتلة من حجر البازلت تم صقل أحد جوانبها لنحت الصور عليه. صُورا عليها مشهدان احدهما فوق الآخر. نجد في المنظر العلوي الزعيم–الكاهن يغرز رمحاً في خاصرة الأسد، ونراه أسفل وهو يطلق سهاماً على أسدين جريحين، لكنهما ما زالا خطيرين. نلاحظ ايضاً بقية لمنظر اسد خلفه. (كانت محفوظة بالمتحف العراقي ببغداد) أنظر: أندري بارو، سومر، فنونها وحضارتها، ١٢٣

مكاناً مهماً على أختام نهاية الألف الرابع والنصف الأول من الألف الثالث ق.م. وكذلك في الفترة المتأخرة.

ومن الجدير بالذكر أن الموضوعات والأشخاص، الذين إرتبط شكلهم الخارجي بالطقوس وبعالم الآلهة والكائنات الخرافية كانت نادرة بين زخارف الأختام في هذه الفترة. وكثيراً ما نجد ما يُعرف بمناظر الحياة اليومية التي تصور أعمالاً غير دينية مثل البناء وتجهيز المواد المختلفة أو الإعتناء بالماشية. وربما أن مثل هذه الموضوعات التي يبدو من الوهلة الأولى أنها غير دينية كانت لها دلالة دينية أسطورية[٨٩] حيث إن كل ما كان يتم تصويره على الأختام كان ولابد من أن يسبب السعادة والخير للعالم.[٩٠]

قد سبق أن أشرنا إلى أن الزخارف المصورة على أختام تبة جَورا، وتبة جيان و سوسه تصور بشكل واضح أو تقريبي أحداثاً طقسية. هذا ويمكننا القول بإن تصوير الأشخاص بمفردهم أو الحيوانات والشخص الراقص بينهم وحتى تصوير الحيوانات بمفردها يُمكن أن يُفسر على أنها زخارف مرتبطة بطقوس الخصوبة و الوفرة وكل أنواع الرفاهية، وهذا هو جوهر كل الطقوس القديمة بوجه عام. وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يمكن أن نعتبر هؤلاء الأشخاص المصورين على الأختام عفاريتاً أو أرواحاً، حيث كان الفن يقتبس صوره من الطقوس، وكانت المناظر تصور المشاركين الحقيقيين في الطقسة. ومن ناحية أخرى لا يجب علينا أن نُحمل الزخارف القديمة مفاهيم عصرية، حيث إنه ليس من العدل أن نقول إن هؤلاء الأشخاص كانوا يمثلون كائنات خرافية أو أشخاص عاديين.

بالنسبة لتلك المجتمعات القديمة كان الإنسان أثناء قيامه بالطقسة عندما يرتدي قرون التيس على وجه الخصوص كان يتوقف عن كونه إنساناً، حيث كان يعتبر روحاً أو عفريتاً أو كائناً خرافياً. إلا أن الحاجة إلى تصوير هذا الشخص بمثل هذ الصفات قد ظهرت عندما بدأت في المجتمع تظهر الحاجة إلى حاملي وظيفة الحكم، القائمين بالأدوار الدينية، والذين بدونهم لا يمكن أن يوجد أي تميز إجتماعي. وقد كان ظهورهم على مثل هذه المواد الثمينة مثل الأختام مرتبطاً بالتغيرات الفعلية في الحياة الإجتماعية وبنشأة مؤسسة السلطة وتشكل الإيدولوجية.

---

[89] Е.В. Антонова, 'Представления обитателей Двуречья о нназначении людей и глиптика конца IV–первой половины III тыс. До н.э.', ВДИ 4 (Москва, 1983)

[٩٠] كان الفنان الذي يقوم بالنقش على الختم يختار للزخارف أشخاصاً ومناظر لابد وأنها كانت تنال الرضا من قبل أفراد الشعب، وتتطابق مع وظيفة الأختام السحرية التي كانت تستخدم كتمائم بجانب إستخداماتها العملية الآخرى. وبدءاً من عصر أسرة بابل الأولى بدأت تكتب على الأختام دعوات للآلهة و على الأختام الكاسية والأشورية كانت تكتب تعاويزوهي النظائر الشفهية لطقوس الحماية. ويطلق عيلها أحياناً 'تعاويز في صور'.

وتدلل الأختام بصورة مباشرة جداً على أن ظهور مثل هؤلاء الأشخاص كان مرتبطاً بعملية التطور الإجتماعي. وقد تم إثبات أن الأختام كانت تستخدم في التحكم والمراقبة على محتويات المخازن، والأواني والحاويات الأخرى. هذا وتوضح مناظر الرجال المصورين على الأختام في أيدي من كان له هذا التحكم والمراقبة. ومن الجدير بالذكر أنه في المجتمعات البعيدة نسبياً عن المناطق التي ظهرت بها الحضارات الأولى وجدت أختام ذات زخارف هندسية في ظروف أقتصادية أقل تطوراً من حضارات جنوب غرب إيران وبلاد ما بين النهرين.

هكذا عُثر في موقع شهري–سوختا (بمنطقة سيستان بجنوب شرق إيران) على مجموعة من الأختام ذات زخارف هندسية ترجع لنهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث ق.م. وتتركز بصورة رئيسية في دفنات السيدات[٩١]. هذا وعُثر على أختام ذات زخارف هندسية فقط في موقع يعود للألف الثاني ق.م. في سباللیتبه (أسيا الوسطى) وأيضاً في مقابر السيدات[٩٢].

وفي النهاية وبعد هذا العرض للنقاط الرئيسية للبحث يمكن إستخلاص النتائج التالية:

- كانت أكثر المواضيع إنتشاراً في مناظر الأختام الإسطوانية خلال الفترة الزمنية التي يتناولها الباحث تلك التي إرتبطت ببنية الفكر الإجتماعي.
- من الواضح وطبقاً للمواد الأثرية التي عثر عليها في المواقع التي وردت في الدراسة الحالية أن ظهور الزخارف الآدمية على الأختام كان مرتبطاً بتغيرات طرأت على الحياة الإجتماعية لسكان بلاد ما بين النهرين وإيران خلال عصر العبيد المتأخر.
- أهم هذه التغيرات تتمثل في نشأة الفروق الإجتماعية بين أفراد المجتمع أي وجود نوع من التدرج الإجتماعي، الذي نتج عن تغيرات أخرى في الحياة الإقتصادية والتي كان من أهمها إزدياد التخصص الحرفي ونشاط ملحوظ في التبادل التجاري داخلياً وخارجياً. فتميزت نخبة من المجتمع عن بقية أفراده سيطرة على عملية الإدارة والتجارة به. وقد إنعكست مظاهر هذا التطور الإجتماعي على طريقة بناء المساكن ومحتويات المقابر.
- أدى نمو الدور الإقتصادي الهام لعملية تربية الحيوانات كمصدر غني للثروة في المجتمع في ذلك الوقت إلى كثرة تناول الفنان للأشكال المرتبطة بالحيوانات على الأواني الفخارية والأختام وغيرها خلال حضارة العبيد.

[91]M. Piperno, 'Socio-economic Implication from Graveyard of Shahr-i-Sokhta', in M. Tosi (ed.), South Asian Archaeology 1977, 1, (Napoli, 1979)

[92]M. Tosi, The Origins of Early Bactrian Civilization, in G. Ligabue, S. Salvatori (ed.), Bactria. An Ancient Oasis Civilization from the Sands of Afghanistan, (Venezia)

- ولهذا السبب أصبحت عملية تربية الحيوانات أهم مصدر للعلامات التي تميز الطبقة العليا في المجتمع التي تتربع على قمة الهرم الإجتماعي (رموز السلطة) وعامل لرفع المكانة الإجتماعية.
- وأدى هذا، طبقا لوجهة نظر الباحث، إلى أن الزعيم الذي صُور على أختام مواقع بلاد ما بين النهرين وإيران كان يصور مزيناً بعناصر حيوانية (رأس أو قرون تيس). إنه صور هكذا كي يتميز عن بقية أفراد المجتمع وإن كان من الناحية النظرية.
- إستخدمت الزخارف الحيوانية أو العناصر الحيوانية في الزخارف ليس فقط في كعلامات لتمييز طبقة إجتماعية عن غيرها، بل وأيضاً في تنظيم الحياة الإجتماعية، أي صياغة العلاقات بين الأفراد داخل المجتمع في الفترة التي ظهرت بها الفروق الإجتماعية.
- إذاً قد بينت لنا دراسة أختام هذه الفترة النقلة الحضارية بين نظام العشائر وبداية تكوين المجتمعات ومن ثم ظهور شخصية صاحب السلطة أو الزعيم والذي أصبح بمكانة إجتماعية ودينية جعلت الفنان يصوره في البداية في هيئات أسطورية إرتبطت بأشكال مركبة من عناصر بشرية وحيوانية وذلك لإضفاء بعض سمات مميزة من عالم الحيوانات على هذا الزعيم الأسطوري، ولعل هذا الفكر يرجع إلى المجتمع القبلي الذي يرى فيه زعيمه كائناً يختلف عن بقية أفراد العشيرة.
- وفي ظل تطور المجتمع (عصر أوروك–جمدة نصر) وهيمنة العوامل الإقتصادية وظهور الطبقات الإجتماعية المختلفة وبيان الدور الإداري والسياسي الذي كان يلعبه صاحب السلطة كقائد على رأس مجتمع بشري رأى الفنان أن ميزات هذه الشخصية قد يُعبر عنها بشكل أفضل بالهيئة البشرية خالصة. وقد ظهر ذلك بوضوح في المناطق السهلية والمجتمعات الزراعية على ضفاف الأنهار. بينما أظهرت لنا الآثار المرتبطة بالمناطق الجبلية ظهور الزعيم في هيئته الأسطورية وحتى العصر البرونزي وبداية الألف الأول قبل الميلاد. ولعل هذا سببه تأخر النقلة الحضارية من النظام العشائري إلى النظام الطبقي.
- كان هذا الزعيم دائما يظهر في المناظر مشاركاً في طقوس أو إحتفلات مختلفة مما يعكس دوره الإداري، العسكري، الديني وهذا ما كان الحال عليه في الممالك والدول التي ظهرت بالمنطقة في العصور التاريخية.

ملحق الأشكال

١- شكل (أ) خريطة لأهم المواقع إيران وبلاد ما بين النهرين خلال الفترة الزمنية المعنية بالبحث.

٢- شكل (ب) أختام من تبة جورا من الطبقات (الثانية عشرة–السادسة) عن:
A.J. Tobler, Excavation of Tepe Gawra, V. II. (Philadelphia, 1950), Pl.CLXII, CLXIII, CLXIV

٣- شكل (جـــ)١، ٢، ٣:أختام من تبة جيان من الطبقة VC،٤ختم من تل أسمر عن:
E.B. Антонова, 'Антропоморфнный персонаж на печатях Ирана и Месопотамии', ВДИ № 2, (Москва, 1991), рис.1.

٤- شكل (د) أختام من سوسه ترجع إلى عصر سوسه B عن:
P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, (Paris, 1961), Pl. 2

٥- شكل (هـــ) أختام من أوروك وسوسه (سوسه C) عن:
E. Antonova, Images on Seals and the Ideology of the State Formation Process, Mesopotamia XXVII (1992), Fig. C;
P. Amiet, La glyptique mesopotamienne archaique, (Paris, 1961), Pl. 14, 695

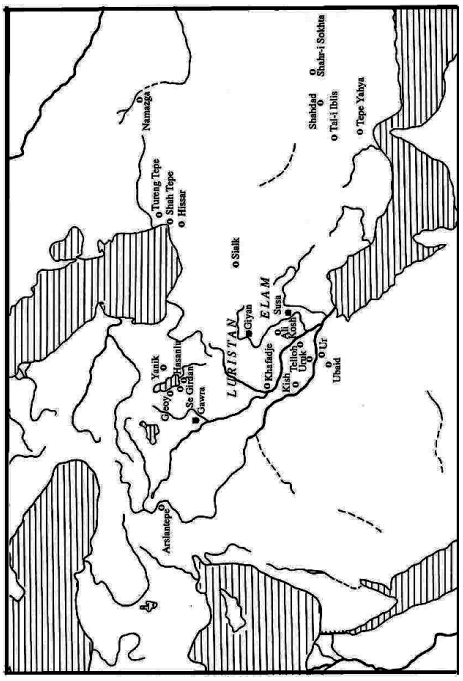

شكل (أ)

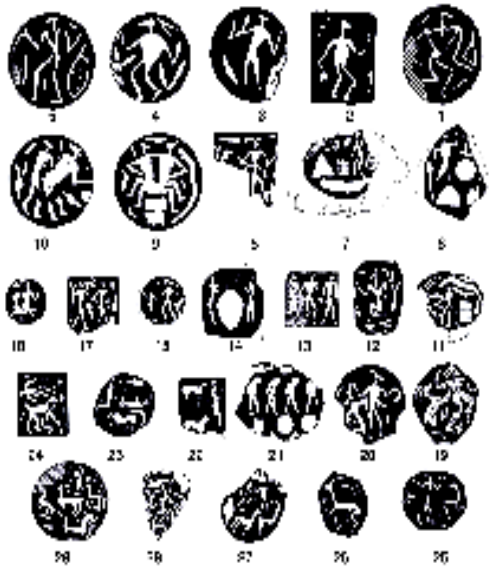

شكل (ب)

شكل (ج)

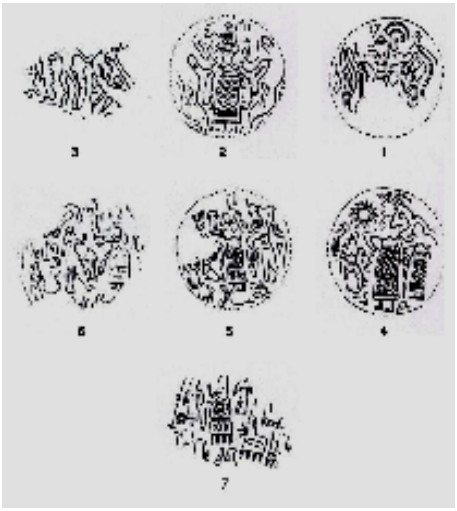

شكل (د)

1

2

3

شكل (هـ)

"The Image of the Ruler/Priest on the Seals of Iran and Mesopotamia"
(During the IV th - beginning of the III mil. B.C.)

د.أبو الحسن محمود بكري♦

The intermediate period between the end of prehistoric times and the time of formation of early proto states in the Ancient Near East is characterized by important cultural and social changes in the life that led at the end to form the ideology of political power and the first image of the ruler or social leader on the seals.
So the present article analyses the appearance and formation of the image of the social leaders (rulers) with certain zoomorphic features (especially those of goats), on Mesopotamian (Tepe Gawra) and Iranian (Tepe Giyan and Luristan) seals from the IV millennium B.C.
Such images testify to the existence of individuals who controlled distribution and exchange of products. These persons also had certain sacramental duties and this explains the animal features incorporated in their image. The heir of such individuals was the "king-priest" who is depicted on the seals from the end of the IV to the beginning of the III millennium B.C. found in Mesopotamia and Susiana (Iran).

♦ كلية الآثار – قسم الآثار المصرية – جامعة القاهرة .